يفتح ملف الإرهاب من جديد

«دم الغزال»: شيوع الجريمة بين السلطة والجهل والمجتمع

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من كمال القاضي:

في منتصف التسعينيات لعبت السينما على موجة الإرهاب كمتغير طارئ على المجتمع المصري في تضامن واضح مع السلطة ضد الظاهرة، ولكن قليلا من الأفلام التي قدمت في هذا الإطار عنيت بالبحث في الجذور عن أصل الإرهاب ومنبته، وأغلب الرؤى التي قدمت عالجت القضية بشكل بوليسي بافتراض أن الإرهاب موجة من بعض الخارجين على القانون ضد الحكومة أو ضد الشرطة على وجه التحديد، وهي النظرة الأحادية التي أضعفت دور السينما في التصدي للعنف وخلق جبهة مضادة للأفلام وأبطالها وكتابها ومخرجيها للظن الخاطئ بأن هؤلاء المبدعين يستهدفون رضاء الدولة من وراء ترويج الأفكار المناهضة للتيار الديني المتشدد الذي تقوم بعض عناصره بالعمليات الإرهابية، وبموجب هذا الاعتقاد ظلت الحقيقة غائبة وانفصل الجمهور تماما عن المعادل المشترك بين الفن والوعي الاجتماعي، ولم ينتبه لأهمية السينما في هذا الصدد إلا بعد أن اكتوى بنار الإرهاب وأصبح الضرر مباشرا على الفرد والجماعة وازدادت نسبة المحظورات الدينية وحدة الخطاب العام بين الأمراء الجدد والرعية .. من هنا بدأ يتفتق ذهن المجموع عن خطورة إطلاق الأحكام الصارمة والعنف الذي بات قانونا معتمدا لدى أصحاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . على هذه الخلفية بدأت التجارب السينمائية النوعية تتلامس مع الوعي العام وتقرب وجهات النظر بين ممارسات عناصر التطرف الطامعة في الحكم والسلطة التي تدافع عن شرعيتها وبقائها ليتبين للناس الحقيقة ويدركون أن وقوف السينما ضد الإرهاب لا يعني أبدا مساندتها للسلطة بقدر ما يعني حمايتها للمجتمع من سيادة الفوضى وتعميم سياسة القتل واتخاذه سبيلا للوصل للكرسي، خاصة وأن من بين الأفلام التي خاضت الحرب ضد الإرهاب أفلاما أدانت فاشية الحكومة في تعاملها مع الإرهابيين بما ينفي عنها تهمة الانحياز أو اللا موضوعية باستثناء تجارب قليلة ظهرت في بداية نشوب الصدام بين الطرفين استهدفت في الأصل الربح واتخذت من القضية جسرا لعبور المشاهد إلى شباك التذاكر وبامتداد الظاهرة الإرهابية توازت التجارب السينمائية وبين التوهج والخفقان خرجت أعمال يؤرخ بها للسينما مثل «طيور الظلام والإرهاب والكباب» لوحيد حامد وعادل إمام قبل أن ينفصل الاثنان ويقدم الأخير ما لديه من تصور نهائي معه نور الشريف بطلا ومحمد ياسين مخرجا في فيلمهم «دم الغزال».. أحد الأفلام البارزة في الموسم الشتوي، حيث انتهاء مرحلة التحذير المباشر من الخطر وبداية الطرح الفلسفي لعملية التفتيش عن الجذور الاجتماعية للإرهاب كنبت شيطاني ينمو في ظل عوامل بيئية تعمل على تنشيط غريزة العنف يأتي في مقدمتها الفقر والبطالة كأهم رافدين مصدرين للجريمة، بجانب تفاصيل أخرى هامشية مثل العنوسة لدى الجنسين.

منى زكي في «دم الغزال» (القدس العربي)

فالبطل نور الشريف رجل في الخمسين من عمره عاطل بالوراثة وغير متزوج.. يهوى تربية الحمام الزاجل وينفس عن رغباته مع جارته الأرملة «عايدة رياض» ويمتهن مهنة غريبة تدر له مالا وفيرا، فهو يحترف إلقاء نفسه أمام السيارات الملاكي وإبرام المصالحات الشفوية بعد الحصول على التعويض الفوري من قائد السيارة، وفيما يمارس جابر عميش «أو نور الشريف» هذا الفصل يوميا يقوم بإيهام أهل الحارة بأنه من أصحاب الأملاك، ومن ثم يكبرونه ويعتمدون عليه في حل مشاكلهم، والتي من أبرزها حمايتهم من الهجامة واللصوص الذين يتزعمهم عمرو واكد، ذلك الشقي المسجل خطر وصاحب السطوة والنفوذ غير الشرعي أو بمعنى أدق الطرف الآخر للإرهاب الموازي لإرهاب المتطرفين الدينيين، والذين يمثلهم الممثل الشاب محمود عبد الغني صبي العالمة والطبال السابق الذي ترك كار العوالم واصبح إرهابيا بعد أن خُذل في حبه وهُزمت كرامته في مشاجرة بينه وبين الهجام «عمرو واكد».. ثنائي الشر في الحارة التي تعج بالمتناقضات يحومون حول الفتاة الضحية منى زكي «حنان» تلك التي فقدت أبويها وتقيم مع زوج خالتها الرجل الطيب «صلاح عبد الله» الذي يسعى تحت إصرارها لتشغيلها عند سيدة ثرية لها ماضي «يسرا» حصلت على ثروة من وراء رجل الأعمال عبد العزيز مخيون وتعيش في عزلة شديدة..

خطوط متعددة ومتقاطعة ينسجها وحيد حامد ليصل بنا إلى مفهوم الإدانة الجماعية في خلق ظواهر الإرهاب بعد الفشل في تلبية الاحتياجات الضرورية للمواطنين وتركهم فريسة للانحراف والتحايل والنصب والسمسرة والدعاة وابتكار أساليب الابتزاز والإغراق في الحياة العشوائية ، فنسير دون ان نشعر في لجة الدم ونفقد أحلى ما لدينا سجايانا الخيرة ويصبح للإنسان منا ألف وجه يعيش أمام أهله وذويه محتميا في طيبته وإنسانيته، بينما هو نفسه «جابر الأعمش» الذي يرتزق من وراء الخدعة التي صارت بفعل التكرار مهنة يمارسها في الخفاء حتى يذهب ضحيتها ويموت مقتولا على رصيف أحد الشوارع وينزف دمه تحت ضوء الإشارة الحمراء نذير الخطر والسوء وهو يعترض بأنه لم يكن يوما من أصحاب الأملاك وليس لديه بلد غير حارته التي استباح طيبة أهلها وبات يخدعهم سنوات.. كان الاعتراف مصحوبا بمرثية وداع للحبيبة الطاهرة.. الوحيدة التي لقيت مصرعها أيضا نتيجة رعونة السلطة وعدم قدرتها على حمايتها بعدما استخدمتها قوات الأمن طعما للقبض على الإرهابي.. استشهدت حنان الضحية البريئة وهي تعانق أحلامها وخوفها وتمني نفسها بحياة مستقرة تنأى بها عن الرعب من أنياب الفقر والمعيشة الضنكة. كان الموت هو المشهد الختامي في ثلاثية الدراما الحزينة لوحيد حامد ومحمد ياسين بعناصرها الرئيسية الفقر والجهل والقمع وأسانيد الجريمة الكاملة للشركاء الثلاثة أيضا الإرهاب والحكومة والشعب، حيث لا مناص من تحميل المسؤولية بالتساوي لكل منهم فالإرهاب نتاج الجهل وتخلي الدولة عن مسؤولياتها تجاه رعاياها مما دفع بالبعض لمحاولة خلق نظام بديل وإنشاء مجتمع جديد قوامه الفهلوة واللصوصية والاحتيال.

أما الحكومة فكانت حجر الزاوية في تفجر الأزمة بعدم قدرتها على وئد ظاهرة الإرهاب مبكرا واستخدامها للعنف كلغة وحيدة للحوار!

دم الغزال.. فيلم يفتح الجرح من جديد ويدق ناقوس الخطر لرصد توابع الإرهاب بكل أبعاده ويلفت النظر إلى حكمة أجهزة الأمن المفتقدة في التعامل مع القضايا الشائكة، كما أن الفيلم عودة أيضا إلى دور السينما الإيجابي في الوقوف على جبهة الحرب للحيلولة دون تحويل الفن إلى مجرد مساخر وتسلية.

نور الشريف بدا في هذا الدور كرجل حكيم يصب عصارة تجاربه ويقول كلمته للتاريخ ويمضي، فقد اتسم أداؤه بالرصانة الشديدة وبالغ العفوية والاقتدار، غير أنه ترك مساحات شاسعة لبقية الأبطال ليتوازوا معه في المكانة والنجومية، خاصة صلاح عبد الله ومحمود عبد الغني حيث وقفا معه على خط واحد في الأداء وارتفعا كثيرا بمستوى الحوار حتى أنهما طاولا قامة يسرا وكادا أن يسرقا الكاميرا من منى زكي وعمرو واكد.

اخبار فنية

الاكراد يحضرون لانتاج فيلم عن زعيمهم الراحل مصطفى بارزاني

اربيل (العراق) ـ من عبدالحميد زيباري:

يعمل المسؤولون في اقليم كردستان العراق على انتاج فيلم سينمائي عن الاكراد وزعيمهم التاريخي الملا مصطفى بارزاني يقوم باخراجه المخرج المصري على بدرخان ويشارك فيه ممثلون عالميون.

ولهذا الغرض وصل الثلاثاء المخرج بدرخان الى مدينة اربيل (350 كلم شمال بغداد). وقال بدرخان في مؤتمر صحافي «جئت الى كردستان للقيام بعمل مشترك بين وزارة الثقافة في كردستان والسينما المصرية وهوليوود لانتاج فيلم عن تاريخ الاكراد والزعيم القومي الكردي مصطفى بارزاني».

واضاف «نريد ايصال هذه القضية الى اجيال لم يعاصروا هذه الشخصية وكذلك الى المواطن العربي والعالم لان هناك العديد ممن لا يعرفون شيئا عن هذه القضية وهذا الشخص».

وعن سيناريو الفيلم، قال بدرخان «لا يوجد لدينا سيناريو مكتوب ولكن الامر الواضح ان زعيم الاكراد مصطفى بارزاني هو معجزة بشرية ولا يستطيع احد ان ينكر دوره النضالي العظيم وتضحياته الكبيرة من اجل شعبه وهذا يعد أغنى سيناريو بالنسبة لنا».

واشار بدرخان (59 عاما) الذي اخرج افلاما مهمة منها الكرنك (1975) وشفيقة ومتولي (1979) واهل القمة (1981)، الى احتمال قيام الممثل العالمي عمر الشريف بدور البطولة «بالاضافة الى فنانين اكراد وفنانين عالميين آخرين».

وقال ان «عمر الشريف له قيمة كبيرة على مستوى العالم ويعد مكسبا جيدا للفيلم اذا وافق على المشاركة».

واشار الى ان «تصوير الفيلم سيتم في كردستان وستتحمل وزارة الثقافة في حكومة إقليم كردستان تكاليف الانتاج»، مشيرا الى انه «من السابق لأوانه الخوض في تفاصيل أخرى عن الفيلم».

يذكر ان الزعيم الكردي الراحل الملا مصطفى بارزاني مؤسس الحزب الديموقراطي الكردستاني الذي يلقبه الاكراد بالزعيم الخالد، هو والد مسعود بارزاني رئيس الاقليم حاليا.

وقاد بارزاني الحركة التحررية الكردية في كردستان العراق منذ مطلع الثلاثينات من القرن الماضي. وبعد سقوط الجمهورية الكردية المسماة بجمهورية مهاباد في ايران عام 1946 لجأ الى الاتحاد السوفياتي وبقي فيها لمدة اثني عشر عاما مع اكثر من خمسمائة من عناصره.

وعاد بارزاني الاب الى العراق بعد سقوط الملكية واعلان الجمهورية في 1958.

وفي 1961، اختلف مع الرئيس العراقي الراحل عبد الكريم قاسم حول المطالب الكردية واعلن ثورته المعروفة بـ «ثورة ايلول».

واستطاع من خلال هذه الثورة انتزاع اعتراف رسمي من الحكومة العراقية في عهد الرئيس احمد حسن البكر بحقوق الاكراد في العراق ومنحهم الحكم الذاتي.

وبعد ان وقع صدام حسين بصفته نائبا للرئيس العراقي آنذاك، اتفاقية الجزائر في 1975 مع شاه ايران محمد رضا بهلوي والتي تنص على تنازل العراق عن جزء من شط العرب مقابل وقف المساعدات الايرانية لاكراد العراق، لجأ بارزاني الى ايران.

وفي ايران تدهورت حالته الصحية ونقل الى الولايات المتحدة للعلاج حيث توفي في 1979 ونقل جثمانه ليوارى الثرى في ايران موقتا ثم نقل الى اقليم كردستان بعد سيطرة الاكراد على الاقليم الكردي في 1991 حيث دفن في مسقط رأسه في قرية بارزان.

(اف ب)

اجتماع لممثلين عن مسارح فلسطين لاحياء ذكرى مازن غطاس

عكا ـ من أسامة مصري:

دعت إدارة مسرح «اللاز» وأهل الراحل المخرج الفلسطيني مازن غطاس، إلى اجتماع تشاوري حول كيفية تأبين فقيد المسرح بشكل لائق ويتناسب مع خط وفكر الراحل.

عقد الاجتماع في مقهى مسرح «اللاز» في عكا مساء يوم السبت 2006/1/9، بحضور ممثلين عن جميع المسارح في البلاد، وجمع غفير من الفنانين والصحافيين وأصدقاء الراحل وأقربائه.. افتتح الاجتماع فاتن غطاس الشقيق الأصغر لمازن، وطلب من الجميع الوقوف دقيقة حداد على روح الراحل، وبعدها طلب ان نحيي الراحل بطريقته، مؤكدا ان مازن كان ليسخر من هذه الوقفة.. وشرب الجميع نخب الراحل! ثم فتح الباب للاستماع الى الاقتراحات بشأن التأبين.

في كلمته، اعلن عصام خوري، بأن الأهل والأصدقاء يعملون على اصدار كراس عن حياة مازن، وسيتم توزيعه في يوم التأبين، وطلب من الراغبين بالمساهمة في هذا الكراس، ان يرسلوا موادهم الى ادارة مسرح «اللاز» حتى تدرجها في اسرع وقت ممكن.

وبعد ان تحدث الصحافي والكاتب انطوان شلحت، عن ميزات الراحل وتجربته في اقامة مسرح مستقل وحر وجاد، اقترح شلحت ان تتبنى المسارح اعمال الراحل لتعريف الجمهور على ابداعاته، واقترح ايضاً تسمية احدى قاعات مسرح «اللاز» على اسمه.

ثم قرأ الصحافي علاء حليحل، فقرة من «ماكبث» مؤكدا انها تليق بالراحل الظاهرة الذي حمل فكر سياسي واجتماعي مشرف طوال حياته، ودعى الجمهور الى احياء مركز وجمعية «اللاز» والوقوف الى جانبها في مسيرتها الثقافية والفنية، ودعا الجميع الى الانتساب الى صفوف جمعية «اللاز».

المخرج عدنان طرابشة، مدير مسرح «المغار»، استغرب جو التشائم الذي ساد الاجتماع، وطلب ان نكون متفائلين كما اراد الراحل ان نكون، واقترح ايضا ان تكون امسية التأبين عبارة عن مجموعة من الأعمال المسرحية القصيرة تشارك فيها جميع المسارح.

وباسم موقع «يا هلا» تم الأعلان عن فتح زاوية خاصة ودائمة لنشر جميع ما يكتب وينشر عن الراحل في الصحف والكراريس وايضا جميع صوره وصور اعماله، ابتداء من هذا الأسبوع.

الفنانة امل مرقس، اقترحت ان يقام مارثون للمسرحيات التي اخرجها مازن، وتخصص لذكراه، واقترحت ايضاً اقامة حفل موسيقي كلاسيكي على شرفه، خاصة ان الراحل كان يحب هذا اللون الموسيقي.

ثم تحدث رئيس مجلس الرامة، وصديق طفولة الراحل خليل خوري، الذي أكد على أنه يجب أن يكون تأبين مازن «غير شكل» لأن مازن كان «غير شكل»!!

الفنان محمد بكري، اعلن انه يريد مصالحة مازن ـ ما لم يستطع فعله في مماته ـ مؤكدا أنه كان مقصراً في حقه، واعلن ايضاً انه على استعداد لتقديم سلسلة من عروض مسرحية «المتشائل» التي اعدها واخرجها مازن، ويكون ريعها لدعم مسيرة مسرح «اللاز»، ثم اقترح تشكيل لجنة مصغرة لبحث كيفية تأبين الراحل، لأنه يعتقد بأن هذا الجمع الكبير لا يستطيع البت بشكل جيد بشأن التأبين.

وتحدث مندوب جمعية «الياطر» العكية، سامي هواري، واقترح اقامة اسبوع سنوي على اسم الراحل في عكا.

واعلن الفنان سليم ضو، عن فتح باب المقهى المسرحي «تموز» الذي يديره في حيفا لاقامة العديد من المشاريع التي يكون ريعها لدعم مسرح «اللاز» وعرض ايضاً ان يقدم سلسلة من عروض مسرحيته «اضراب مفتوح» ليكون ريعها لمسرح «اللاز».

المخرج رياض مصاروة، رفض كلمة تأبين، وفضل عليها كلمة تكريم، واقترح على ادارة مسرح «اللاز» ان تأخذ المبادرة وتتوجه لجميع المؤسسات لتقيم كل واحدة مثل هذه التكريمات في كل مكان، واقترح ايضا ان يكون مخرجاً واحدا لأمسية التابين التي اجتمعنا بصددها، ودعا جميع المسارح بأن تقدم اعمالها في مسرح «اللاز» كدعم لمسيرة هذا المسرح.

مدير مسرح الميدان المخرج فؤاد عوض، اعاد الاقتراح بتشكيل لجنة مصغرة مع عدد من الفنانين لمناقشة التأبين بعد الستماع لجميع المقترحات هنا، واقترح ايضا ان تكون امسية التأبين في مسرح الميدان في حيفا، ثم اعلن انه سيقترح على ادارة مسرح الميدان بأن تطلق اسم الراحل على احدى قاعاته، وطلب من ادارة مسرح «اللاز» ان تقود عملية استمرار المسرح ولا تتوقف عن ذلك.

ومن جانبه، اقترح مدير مسرح الكرمة المخرج قاسم شعبان، ان نتوجه لمهرجان «مسرحي» لتخصص جائزة الاخراج المسرحي على اسم الراحل، واقترح تقديم جميع اعمال مازن على جميع المسارح، واعلن عن استعداد مسرح الكرمة لتقديم أي عدد من المسرحيات التي تطلب منه لترصد ريعها الى مسرح «اللاز».

الفنان عامر حليحل، قدم التعازي بأسم المخرج الفلسطيني سامح حجازي، الذي تعذر وصوله، ثم اعلن عن استعداده لتقديم عدة عروض لمسرحية «دياب» ويكون ريعها لدعم مسرح «اللاز».

الفنان يوسف ابو وردة، رفض فكرة الدعم المادي لمسرح «اللاز»، على اعتبار ان هذا المسرح ليس يتيماً وله ميزانية كباقي المسارح وما علينا إلا تكملة المشرع الأكبر الذي بدأه مازن، وهو ترميم القاعة الكبرى للمسرح، واعلن عن موافقته على ان تكون امسية التأبين في مسرح الميدان، وايضا عن اعجابه بفكرة تسمية بعض الجوائز المسرحية في المهرجانات على اسم الراحل.

الفنانة روضة سليمان، التي تأسفت عن عدم توفر الفرصة للعمل مع الراحل في اعمال سابقة، اعلنت على انها مستعدة لتنفيذ كل ما يطلب منها لتكريم الراحل.

د. عاطي تسيطرون ـ مدير قسم المسرح في جامعة حيفا، لقب الراحل بالساحر المنقذ، حسب تجربته معه في عدة اعمال سابقة من خلال مهرجان المسرح الآخر ومن خلال جامعة حيفا، ثم اعلن عن تفكيره بتنفيذ عمل مسرحي عن الكارثة كما يراها مازن، كان قدمه مازن في السابق.

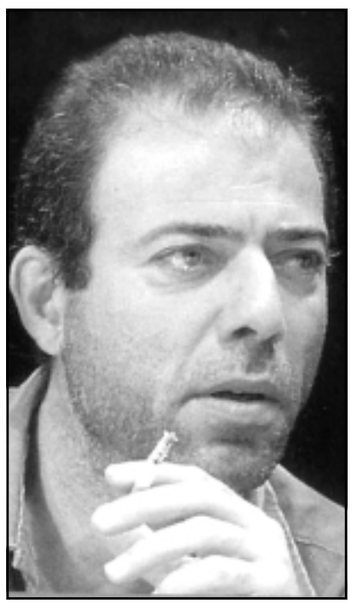

مازن غطاس (القدس العربي)

وتحدث الفنان فراس سويد، مندوب مسرح «فرح» في البقيعة، واعلن عن استعداده لتقديم مسرحية «الضياع» التي اخرجها له الراحل، واعلن ايضاً عن استعداد مسرحه لإستضافة امسية التأبين في مسرح البقيعة الذي يتسع الى عدد كبير من الجمهور.

الفنانة سامية قزموز/ بكري، تحدثت عن علاقتها بالمخرج، واقترحت ان يبدأ مسرح «اللاز» بعمل مسرحي ضخم يليق بأسم الراحل.

وعن مسرح «السرايا» تحدث الفنان نورمان عيسى واعلن عن اسعداد المسرح بتقديم كل ما يطلب منه بشأن التأبين، واقترح ايضاً ان تكون امسية التأبين في المقبرة بجانب قبر الراحل.

وفي النهاية، شكر فاتن غطاس (شقيق الراحل)، كل من حضر وقدم الاقتراحات، واعلن انه سيتم تشكيل لجنة مصغرة من ادارة مسرح «اللاز» وعدد من الفنانين والأهل لترتيب شكل الأمسية وموعدها، وسيتم ابلاغ الجميع بما تقرره اللجنة، كما اعلن انه سيقام تأبين عائلي ديني في الكنيسة في قرية الرامة صباح يوم 2006/2/4.

يشار الى انه حضر الاجتماع مندوبون عن المسارح التالية: «السرايا» ـ يافا، «الميدان» ـ حيفا، «الكرمة» ـ حيفا، «الغربال» ـ شفاعمرو، «فرح» ـ البقيعة، «جبينة» ـ حيفا، «الجوال» ـ سخنين، مركز المسرح ـ عكا، «تل الفخار» ـ عكا، «مسرح المغار» ـ المغار، ومسرحيون آخرون لا ينتمون لأي مسرح معين.

تفانين ياهلا للإعلام الفني الفلسطيني
osamamasri@yahala.co.il
tfaneen@yahala.co.il

فضائيات

عن «البلدوزر الذي لا يتوقف عند الضوء الأحمر» وما خلفه...

خميس الخياطي*

■ منذ الرابع من كانون الثاني/يناير وأنظار الفلسطينيين والإسرائيليين كما العرب والغرب بأجناسه المختلفة وغيرهم من الذين يهمهم أمر ومصير الشرق الأوسط وتحديدا فلسطين مثبتة على مستشفى «حداسة» بالقدس المحتلة مترقبة الأخبار عن صحة الرجل. من جهة أخرى وحتى الخامس والعشرين من الشهر، الأنظار نفسها مسلطة على قطاع غزة حيث ستجرى الإنتخابات التشريعية التي، ومهما سيكون موقع «حماس» فيها، ستطلع عنها صورة مغايرة حتما لما قبل الإنتخابات. لم يكن أحد يتوقع مثل هذا الإهتمام بصحة العليل وكأن الأمر على كف عفريت والعفريت في غيبوبة ولم يكن أحد يتوقع أن الديمقراطية التي كان الرجل المريض يريدها للفلسطينيين ستكون بعزل إحدى فصائل المقاومة الفلسطينية التي أظهرت أنها لن تساوم في الإستقلال حتى وإن أمر الرجل الجيش الإسرائيلي، قبل مرضه وبصفة أحادية، بالإنسحاب من القطاع ونتج عن ذلك كله أزمة جوهرية قسمت الساحة السياسية الإسرائيلية فولد حزب «كاديما» (إلى الأمام)، حزب تقول إحدى مؤسساته السيدة «ليفني تزيبي» التي تولت مؤخرا حقيبة الخارجية أن سياسته «ستحددها النسب التي سيحققها كل من حماس وأبو مازن» في هذه الإنتخابات المقبلة و«أنه يجب أن نترقب طويلا قبولنا كدولة يهودية من طرف الفلسطينيين ومن جهة أخرى الزمن لا يسير في صالحنا».

مهما يكن من أمر، فإن وجه القضية الفلسطينية/الإسرائيلية في تغيير جذري هذه الأيام جراء الإنتخابات الفلسطينية بعد رحيل «الختيار» والغيبوبة التي عادة لا رجعة منها والتي يعيشها حاليا صاحب مجزرة «صبرا وشاتيلا»، ذاك العنصري ـ ألم يصر على إعتبار العرب كجنس متخلف، كذاب، صعب فهمه طبقا لما لقنته والدته بقولها «يا ولدي، لا تصدق كلمة واحدة مما يقوله لك العرب» ـ رجل قيل عنه أنه «لا يقف أبدا عند الضوء الأحمر».

وجه من زاوية أبوظبي

■ صحافيتان عربيتان ـ في غياب الثالثة ـ لهن في خارطة الفضائيات العربية موقع بارز لجهة تحكمهن في إدارة منابر إعلامية سمعية ـ بصرية هامة. إنهن «جيزيل خوري» (زوجة صديقي المرحوم سمير قصير) على العربية و«ليلى الشيخلي» على أبوظبي فيما الثالثة هي «خديجة بن قنة» التي، مع الأسف، لم نعد نشاهدها على الجزيرة. ثلاثتهن لهن القبول التلفزي والتجربة الإعلامية وأكثر من ذلك يمتلكن صلابة فولاذية مكنتهن وتمكنهن من إدارة المحاورات وتوجيهها نحو إفادة المشاهد. برنامج «بانوراما» الذي تقدمه ليلى الشيخلي على أبوظبي يعتبر من المواعيد الإعلامية العربية الهامة. موضوع آخر عدد منه كان عن «إسرائيل ما بعد أرييل شارون» وشارك فيه من فلسطين د. حنان عشراوي رئيسة حزب «الطريق الثالث» ومن واشنطن د. عمرو حمزاوي عن مؤسسة «وقف كارنيغي» ومن القدس المحتلة إيلي نيسان محرر الشؤون العربية بالتلفزة الإسرائيلية... منذ اللحظات الأولى كان موقف د. حنان عشراوي موقفا واضحا من شارون إذ قالت بالحرف الواحد «شارون إستخدم قوة السلاح للبطش ومعه الجدار العازل لإيجاد دولة يهودية»... نقطة إلى السطر. وبالتالي فهو يعمل من منطلق عنصري وهمه من الإنسحاب من غزة ليس هما سياسيا بقدر ما هو أمر ديمغرافي. فالدولة الفلسطينية التي يريدها للفلسطينيين هي دولة مكونة من كنتونات ومن هنا غياب شارون سيترك «كاديما» ضعيفا وسياسة ضعيفة والسياسة الضعيفة هي دائما سياسة متشددة... فمن غير المتصور أن يكون شارون هو الذي سيقدم السلام هدية للفلسطينيين... لقد ألغى المفاوضات في اليوم الأول عند وصوله السلطة... فماذا نتوقع منه أن يعمل بعد هذا؟ إن غزة هي الخطر الديمغرافي لإسرائيل و«كاديما» هو حزب الزعيم الأوحد (في ملاحظة عن «يهود أولمير») ذلك أن شارون أعاد صياغة نفسه وحتى تاريخه... في المقابل كان رأي الصحافي الإسرائيلي نقيض رأي الفلسطينية. قال إيلي نيسان أن «شارون زعيم قوي بإمكانه أن يؤدي إلى السلام وبإمكانه أن يقنع الشعب بالإنسحاب... أما الشعب الفلسطيني، فقد فوت على نفسه فرصة إقامة دولة فلسطينية ومع الإنتخابات المقبلة ستكون حماس جيشا موازيا لجيش السلطة الفلسطينية... إن شارون يستمد قوته من الفلتان الأمني الفلسطيني (حماس/الجهاد)، من العمليات الإرهابية داخل إسرائيل. لقد عمل شارون كل المستطاع لمساعدة أبومازن... لم تتمكن حنان عشراوي من المكوث مكانها أمام هذا الرأي خاصة حينما نعت الصحافي الإغتيالات الإسرائيلية بأنها «دفاع عن النفس». وهنا، رأينا وسمعنا كل من حنان عشراوي وليلى الشيخلي صوتا واحدا وصورة واحدة فسألت ليلى: هل الإستفزاز هو دفاع عن النفس؟ وأضافت حنان أن من الغرابة أن نرى الإحتلال يدافع عن نفسه وأنها لا تبرر قتل الأبرياء بأية صفة من الصفات وأنها لا تقبل بما تقوم به إسرائيل...

وجهة نظر د. عمرو حمزاوي من واشنطن تتمثل في أن العلاقة الحميمية بين الثنائي بوش/شارون هي علاقة حميمية إلا أن الأمور اليوم لن تسير على ما سارت عليه في السابق. إن خليفة شارون ستؤيده طبعا الولايات المتحدة ولكن في مساحة بها خطوط حمراء تحمي إستقرار وشرعية السلطة الفلسطينية. إن الإنتخابات الفلسطينية المقبلة هي بالنسبة لأمريكا خطا أحمر... فإن لم يتوقف عنده شارون، فلن يكون الأمر كذلك مع خليفته...

وسؤالنا هنا: هل سيصدق العرب مرة أخرى «حسن نوايا» الجانب الإسرائيلي؟ إن قراءة الحديث الذي أدلت به وزيرة الخارجية في الحكومة الإسرائيلية المؤقتة السيدة «تزيبي ليفني» يوم الأحد الفارط لجريدة «لوموند» الفرنسية يقول «أن من الصعب وضع حد للصراع الإسرائيلي/الفلسطيني لأنه عميق ومعقد»... هذا وجه من وجوه الخطاب العربي عن شارون وما خلفه.

لا جنيرالات في الإنتخابات...

■ من الجانب الآخر قدمت الخامسة الفرنسية TV5 Monde في البرنامج الأسبوعي Ri-postes (ردود فعل) الذي يعده ويقدمه المخرج السينمائي والتلفزي الفرنسي من أصل تونسي «سارج معطي» ذات المحور: «إسرائيل/فلسطين: شارون وبعد؟». حضر البرنامج كل من ليلى الشهيد (ممثلة السلطة الفلسطينية بفرنسا)، نسيم زفيلي (سفير إسرائيل بفرنسا)، برنار قطا (مسؤول الشؤون السياسية بإذاعة فرانس أنتير)، جان بول شانيولو (أستاذ العلوم السياسية ومن المساندين للفلسطينيين)، أوفر برونشهايم (ممثلا لفوروم من أجل السلام) والباحث الفرنسي المختص في الشؤون الإسرائيلية «فريديريك أنسال».

كان الحوار سخنا فانقسم الفضاء إلى قسمين متباينين. القسم الموالي لإسرائيل والمدافع عن حصيلة شارون وبه السفير الإسرائيلي طبعا ومعه الباحث الفرنسي. وفي المقابل، قسم فلسطيني أو باحث عن حل سلمي للقضية وبه ليلى الشهيد وجان بول شانيولو إضافة لأوفر برونشهايم الذي في عديد المواقف دحض مزاعم زفيلي في أن شارون إنسان عظيم إعترف بأن «إسرائيل أخطأت». وفي الوسط بقي الصحافي الفرنسي. لقد بينت ليلى الشهيد بفرنسيتها اللذيذة وحلاوة نطقها للأحرف، أن شارون عمل كل ما في وسعه لعرقلة إتفاقيات أوسلو وأنه أصر على أنه بإمكانه «تحقيق السلام بفكر إنعزالي، إنغلاقي»، انه منذ مقتل رابين ـ فإن السلطة الإسرائيلية يحتلها كل من يعادي أوسلو. قالت بأنه يجب الإعتراف بجدوى الحوار، الحوار الجدي. لقد ترك شارون أكثر من 400 الف مستوطن في الضفة. فماذا سيفعل معهم وبهم الفلسطينيون؟ وأعترفت أن هناك إعترافا من الجانبين بالفشل في الوصول إلى حل يرضي كل الأطراف... مضيفة في مكان آخر بأن العالم يصفق بيديه ورجليه للقرار الأحادي الجانب الذي إتخذه شارون بالإنسحاب من غزة. فلماذا لم نر الشيء نفسه حينما أعلن الراحل أبو عمار في 1988/11/15 الإعتراف التام بإسرائيل وقبل بتحقيق فلسطين على 22 في المئة من أرض فلسطين التاريخية؟ وأن جواب إسرائيل وشارون تحديدا كان محاصرة ياسر عرفات لسنين عدة في المقاطعة... كانت ليلى الشهيد في هذا البرنامج وعلى عادتها شهادة في اللياقة وأدب المحاورة ولا شك أن مفعول ذلك كان كبيرا على عقلية المشاهد الفرنسي. قال جان بول شانيولو بأن الإنسحاب من غزة وعلى أهميته ليس إعترافا بالسلطة الفلسطينية وإلا لماذا عرقلة مسائل الحدود الجنوبية لغزة ومسألة المطار والميناء وغير ذلك؟ هي من أعمال شارون... من جهته كان موقف الإسرائيلي أوفر برونشهايم موقفا شجاعا يمثل فئة إسرائيلية لا علاقة لها بشارون ولا بنخب الحاكمة الإسرائيلية الحالية إذ يعتبر أن هذه هي المرة الأولى التي لا وجود للجنرالات في الإنتخابات وأنه حان الوقت لسياسة صحيحة إذ نشهد اليوم ميلاد قادة جدد لدى الإسرائيليين ولدى الفلسطينيين... وأن القدس الشرقية هي عاصمة فلسطين وأن ليس هناك ضم ولا يحزنون...

سفير إسرائيل عمل جاهدا على اللعب بورقة ما يسميه الإرهاب ويعني بذلك حماس والجهاد الإسلامي مضيفا أن ما يهمه في الإنتخابات المقبلة هو هل ستنجح حماس؟ وإن نجحت، فذلك سيعرقل من جديد عملية السلام لأن إسرائيل لن تتعامل مع من يريد إلغاءها من على الخارطة وأن «كاديما» (إلى الأمام) هي نتيجة تطور لدى شارون زمن معه من أن الوقت لم يعد لإحتلال أرض وإستعباد شعب... إلا أن مقابل هذا التغيير لا يجد تغييرا مماثلا لدى الفلسطينيين... كان رد ليلى الشهيد من أن ليس من حق إسرائيل أن تختار مع من ستتفاوض وأن الفلسطينيين تحاوروا مع الليكود ومع شارون ومع المستوطنين. فلماذا ترفض إسرائيل ذلك وهو رأي أيدها فيه كل من معد البرنامج قائلا «ليس لإي كان أن يختار عدوه» وقال برنار قطا: «في المستقبل، لن يكون بإمكان إسرائيل تجاهل حماس في العملية السياسية»... هل بذهاب الـ«بلدوزر» سينفتح أفق السلام من جديد أم هي لعبة قواعدها ثابتة وأن «الهوة بين الطرفين واسعة وإن أردنا (الإسرائيليون) التقدم، فلنتقدم بمفردنا» كما قالت السيدة «تزيبي ليفني»؟

***

جملة مفيدة: «هل تعتقد أنه من السهل قول لا للإمبراطور الذي لمدة خمس عشرة سنة قلنا له نعم؟» من فيلم Madame sans gene عن نابليون بونابرته.

* ناقد وإعلامي من تونس
khemaiskhayati@yahoo.fr

وارضيات